

تعلمت شرب القهوة «سادة» لأنها لم تكن ناهك ثمن السكر

# راغدة درغام: حاربت من أجل حياتي

راغدة درغام. الإعلامية التي اخترقت ما كان يعتبره الإعلامي الرجل حكراً عليه، فبرعت في مجال النقد والتحليل والرأي السياسي على مستوى دولي لتصبح مرجعاً موثوقاً. في الخامسة عشرة نشرت مقالاتها الأدبية في مجلة «الحسنة» اللبنانية، وفي السابعة عشرة انطلقت من بيروت التي تفتحت فيها براعم موهبتها إلى بلاد العم سام لا لتحقق الحلم الأميركي، بل لتحقيق حلمها في أن يكون لها مكان في هذا العالم. عملت ناذلة خلال دراستها الإعلام في جامعة سوني في بلاتسبورغ في الولايات المتحدة الأميركية رافضة مساعدة عمها، لأنها تؤمن بأن على الإنسان أن يكون مستقلاً في كل أمور حياته. مقولتها في الحياة «تجراً على أن تكون عادلاً». وصلت بإصرارها وجهدها إلى أعلى مرتبة في الصحافة الدبلوماسية في الأمم المتحدة، تستضيفها القنوات التلفزيونية العالمية مثل الـ «سي. أن. أن» والـ «أن.بي.سي.» والـ «أم.إس.بي.سي.»، وغيرها من المحطات العالمية والعربية. لها» التقت راغدة درغام مديرة مكتب الزميلة «الحياة» في نيويورك. وكان هذا الحوار.

بيروت- ديانا حدارة

تصوير: دافيد عبد الله

صعب واجهوه. وهذا لا ينفى أنني كنت محظوظة بالتعرف إلى أناس ساعدوني، ولكن لن يساعدك الناس إذا لم يكن لديك الجهد والإصرار على تحقيق العمل الجدي، فالصحافة ليست مهنة سهلة. وعندما تفرضين حضورك وتقدمي مادة لا يمكن لرئيس التحرير رميها في سلة المهملات، ويكون لديك إقدام تصلين إلى ما تصبين إليه. تعرضت للكثير من الصعاب في بداياتي، إضافة إلى التشكيك في قدرتي على كتابة المقال السياسي. ولكن لم أتوقف عندها بل ناهست بعقلي وإصراري. فعندما أريد أن أجري حديثاً لم أكن أذهب خالية الوفاض، بل كنت أحضّر وأصر على إجراء الحديث. أذكر مرة أنني وقفت سبع ساعات لأحصل على حديث من عبد الحليم خدام عندما كان في منصب نائب الرئيس السوري، ولم أتحرك من موقعي لأنني أردت أن يرى أنني مصرة على التحدث إليه، فمهنة الصحافة ترتكز على الإصرار، وبذل الجهد والجديّة.

ماذا يمكن أن نخبرنا راغدة درغام عن بدايتها في العمل الصحافي؟

بدايتي كانت في بيروت وكنت في الخامسة عشرة عندما عرفت كاتبة قصة قصيرة وشاعرة وكاتبة مقال نثر، وأجريت تحقيقات عدة. بدأت الكتابة سراً وأول من اكتشفني الأستاذ كميل سعادة في مدرسة في الشويفات عندما قالت له تلميذة معي في الصف: «أستاذ، راغدة تكتب بشكل جميل جداً». في البداية شعرت بالخجل عندما طلب مني أن أريه كتاباتي، وعندما قرأها قال لي «يجب أن تنشري ما تكتبينه، لدي أصدقاء في مجلة «الحسنة» (كان مركزها في سوق الطويلة التي هي اليوم الصيفي فيلدج) ويجب سوق الطويلة التي هي اليوم الصيفي فيلدج) ويجب أن تذهبي إليهم لينشروا كتاباتك». ذهبت معه برفقة

الأميركي رون سوسكنديس، أول البعض أن الصحافي اللبناني الذي ورد ذكره في الصفحة ١٨٠ من الكتاب والذي عمل جاسوساً إسرائيلياً هو أنت. ما كان رد فعلك على هذا التأويل؟ وما سبب هذا التجريح بك؟ بكل بساطة ما عليك إلا أن تقرأي تلك الصفحة وأن تقرأي ما قاله في ما بعد الكاتب نفسه الذي أكد أن الصحافي اللبناني الذي رتب اللقاء ما بين فلان وفلان في نيويورك بالتأكيد ليس راغدة درغام وهو رجل وليس امرأة. إذا الذي اخترع الموضوع ربما اخترعه على أساس أنه عندما بحث في الإنترنت عن صحافي لبناني يعمل في نيويورك ظهر اسمي، والحمد لله

أستأق إلى والدتي رقيقة دربي التي ورثت عنما حب العلم والصبر والمثابرة والإصرار

على شهرتي، لكن المشكلة أن الارتكاز إلى أي معلومة من دون التأكد من صحتها افتراء. ورغم النفي الذي أصدره الكاتب ظلت بعض الأقلام تتهمني وهذا افتراء أكبر. أؤكد أن هذا الخبر «مفبرك» جملة وتفصيلاً وهو مضحك ومؤذ في الوقت نفسه. أضحككتي عبارة «الجاسوسة التي أسقطت النظام» وأنا لم أظأ أرض العراق في حياتي. تصوّر! كيف ذهبت إلى بغداد وتقاضيت المبلغ؟ وأتعجب من غباء كاتب المقال، فهو ليس صحافياً.

نلت أعلى مرتبة في الصحافة الدبلوماسية في الأمم المتحدة Correspondent Senior Diplomatic. كيف استطعت أن تصلي إلى هذا المنصب الرفيع؟

حاربت من أجل حياتي. لا أحد يقدم لك شيئاً على طبق من فضة. فهناك الكثير ممن انهاروا عند أول منعطف

ما سبب غيابك عن لبنان ست سنوات؟ هل صحيح أنك منعت من دخول الأراضي اللبنانية؟ خلال السنوات الأخيرة كانت الحالة الأمنية في لبنان صعبة لاسيما الاغتيالات السياسية التي طالت الصحافيين أيضاً. وفي المقابل لم يكن هناك قرار بمعني من المعني إلى لبنان، ربما تعنين عندما ألقي جواز سفري اللبناني أثناء خروجي من بيروت برفقة الأمين العام للأمم المتحدة قبل حوالي عشر سنوات، ولكن بعد ذلك صدر بلاغ للناطق باسم الأمين العام كوفي عنان بأن الجواز سيعاد من دون مشكلة، إذ فجأة وجدنا أن هناك استدعاءً صدر للحضور أمام المحكمة العسكرية في

بيروت بذريعة مشاركتي في ندوة عن لبنان قارعت فيها إسرائيلياً. والحمد لله تم تصحيح الخطأ وقد وصلني حقي فقد أسقط الاتهام. إنني دائماً أحاور الإسرائيليين وأقارعهم في عقر الدار الأميركية حرصاً على الحقوق العربية ودفاعاً عنها. فلماذا نترك الساحة للإسرائيلي ليقتنح الأميركي بأن الحق معه! بل بالعكس. فواجبي كعربية ولبنانية أن أقتنح الأميركي بأن هناك وجهة نظر مختلفة، ورغم أنف الإسرائيلي سوف أقارعه، وأنا أرخب بأي فرصة تسمح لي بها القنوات التلفزيونية أو المحاضرات أو المؤتمرات لأقارع الإسرائيلي لأنني صاحبة حق وأعرف كيف أنتصر له. وأعتقد أن المشكلة كانت لها علاقة بالحرية الإعلامية ولم تكن أبداً ذات علاقة بمناقشة الإسرائيلي. هكذا أفهم الموضوع، ولذلك قلت ما قلته وأقول وصلني حقي.

عندما صدر كتاب The way of the World لكاتب

والدتي رحمها الله، وقابلنا عصام محفوظ رحمه الله وأذكر طريقة استقباله الراقية. وفي إحدى المرات ذهبت لأسلم مواد لعصام محفوظ ولم يكن موجوداً. المضحك أنني اعترضت بالقول إنني أتيت من الأشرفية إلى سوق الطويلة وكأنني قطعت مسافة مئات الكيلومترات بينما هي لا تبعد عنها عشر دقائق. فقيل لي أطرفي باب الأستاذ أنسي الحاج فهو يعرف كتاباتك، فقلت أنا أقوم بذلك؟ مستحيل! شعرت بالرغبة ولكنهم أصرّوا علي. بالفعل طرقت الباب وكنت مرعوبة، إنه أنسي الحاج. أطلت برأسي وعرفتته عن نفسي وأذكر رده «أهلاً بالكاتبة الكبيرة». وإلى اليوم لا أعرف ما إذا كان جاداً بتوصيفه لي أم خطر في باله قولها عندما رأني. سلمته المواد وكان يقرأ ويسألني كم سنك؟ ستة عشر عاماً! وأظن أنه آمن بموهبتي في ذلك الوقت وهو أول من نشر مقالاتي. وأذكر أن الزملاء اهتموا بي جداً أمثال عزت وسلوى صافي في سن الخامسة عشرة ومجموعة من الكتاب. بعد ذلك بدأت أكتب في «ملحق النهار» وكذلك في «ملحق الأنوار». وكان وقتها غسان كنفاني رحمه الله انتبه إلى موهبتي وأدهش بصغر سني، وكل هذا من دون واسطة. وأذكر أنه لم يكن يسمح لي بتسليم المواد من دون مرافقة أحد أفراد العائلة.

خلال تلك الفترة كتبت في مجلة «الحسنة» وأنت تلميذة في المدرسة، وكنت تعلمين وتعلمين. ماذا تقولين لنا عن هذه التجربة؟

كنّا أنا وأخوتي ندرس في مدرسة «الراعي الصالح» وكنّا ستة أبناء وأنا البكر. لم يعد في استطاعة والدي تحمل أعباء الأقسام المدرسية فقرّر نقلنا إلى مدرسة في الشويفات كلفة أقساطها أقل.

أما أنا فعدت إلى القس ملحم شقير في مدرسة «الراعي الصالح» وطرقت بابه وسألني عما أريده فقلت له «أريد أن أبقى في هذه المدرسة»، فردّ «ليس هناك مشكلة ولكن قول لي لأبيك أن يدفع القسط». فقلت له «والدي لديه ستة أبناء ولن يعيدنا إلى المدرسة، وليس عدلاً أن يفضّلني على أخوتي». فسأل ماذا تريد أن أفعل لك؟ فقلت له: «لديكم مدرسة داخلية، أنا أتعلم من الثامنة صباحاً إلى الثالثة والنصف وبعدها أعلم من الرابعة إلى السادسة»، استغرب الأمر ولم يستطع أن يرفض أمام إصراري. وقتها كان الأستاذ سليم خوري مدير المدرسة وكان قاسياً ترتجف ركبنا من هز مسطرتة، لكنه أمام إصراري وافق على طلبي.

إلى الآن لا أعرف من أين كانت لدي هذه الطاقة وهذا الزخم في الإنتاج وأنا في هذه السن. كنت أكتب القصة القصيرة أو الشعر كمن يشرب

أعشق الحرية وأحتج عندها يقول الرجل أريد أن أعطي المرأة حريتنا

لا أحد يقدم لك شيئاً على طبق من فضة

أضحككتي عبارة «الجاسوسة التي أسقطت النظام» وأنا لم أظأ أرض العراق في حياتي

الماء وأتعلّم وأعلّم. وأنا مندهشة من نفسي حتى الآن.

**❏ كيف كان شعورك عندما نشر لك أول مقال؟**

أول مرة نُشر لي مقال شعرت بأنني سوف أكوّن شخصية وأشقّ طريقي، فمَنذَ اليوم الذي طرقت فيه باب أنسي الحاح وأخذ مقالتي وطلب مني إرسال كل ما كتبه لينشره، وتقاضيت وقتها ٥٠ ليرة لبنانية، خرجت من المبنى ورقصت من الفرح، وقلت لخالتي هدى التي كانت برفقتي: بدأت حياتي الآن وسوف أكون شخصية مهمة، والأيام ستبث ما أقوله.

**❏ تخرجت في المدرسة وسافرت إلى أميركا وأنت في السابعة عشرة.لماذا اخترت السفر إلى أميركا؟ خصوصاً أنه في ذلك الوقت لم يكن مالوفاً أن تسافر فتاة إلى أميركا للدراسة؟**

سفري إلى أميركا كان صدفة. فعمي كان يعيش هناك وكان في زيارة للبنان وشعر بأنني فتاة متميزة ودعاني إلى أميركا لتمضية إجازة. ظننت في البداية أنني

الحياة كذلك.

**❏ إلى أي مدى تؤمنين بحرية المرأة؟**

أنا امرأة أعشق الحرية منذ البداية وأحتج عندما يقول الرجل أريد أن أعطي المرأة حريتها، من هو ليقول ذلك؟ من قال له إنه مالك المرأة؟ من قال له إنه يملك حريتي ليعطيني إياها. كانت ولا تزال تزعجني هذه المقولة، فالإنسان الحر هو الحر في الفكر والرأي، حر في العطاء. هكذا أفهم حرية الإنسان.

**❏ من الملاحظ إصرارك على إثبات وجود المرأة الفاعلة، من أين لك هذه القوة وهذا الإصرار؟**

البيئة التي نشأت فيها في ذلك الزمان لم تكن تقف بجانب المرأة كما هو الحال اليوم. ربما منذ بداية تكوّنني الفكري شعرت بأنني أريد أن يكون لي مكانة في هذا العالم، ربما لو كنت شاباً كنت شعرت بالأمر نفسه، ولكن لأنني كنت فتاة كانت طبعاً التحديات أكبر والظروف أصعب والافتراءات أكثر والأقاول أغزر

## ❏ أول أجر تقاضيته كنت في الخاوسة عشرة وكان خمسين ليرة

## ❏ أفنخر باحترام الناس لي وأعتبر مديح قارئ أكبر إنجاز لي وأهم جائزة أنا لها

وكل هذه الأمور السخيفة. فمجتمعنا يعطي إجازة عبور للشباب ليفعل ما يشاء، فيما يضع العراقي أمام المرأة. ربما كانت لدي في الأساس هذه القوة، ولكن الذي ساعدني في تحدي المجتمع هو تشجيع أمي وأبي. في البداية عقدت اتفاقاً مع والدتي وقلت لها: «انظري، الناس سوف تتكلم كثيراً وتنتشر الأقاويل، هل تصدقنيهن أم تصدقيني!» فقالت لي «أصدقك». عندها قلت لها «أريد ثقة كاملة بي لأنني سأخبرك بكل شيء»، وهكذا كان.

**❏ ألم تشعرني بلحظات ضعف كادت تثبط عزيمتك؟**

لا، كانت تمر عليّ أيام لم تكن سهلة، وكانت شريكتي في الغرفة شابة إيرانية، لا تزال صديقتين. تعلمنا أن نشرب القهوة «سادة» لأنه كانت تمر علينا أيام لا نستطيع شراء السكر للحلية. تخيلي! وأذكر مرة أو مرتين دعونا أنفسنا أنا وهي إلى العشاء عند عمي. سألناه: «هل نستطيع تناول العشاء عندك؟». في الحقيقة زعل لأنه في إحدى المرات زارني في البيت ووجد البراد فارغاً من الطعام وقال لي «ولو يا راغدة أنا عمك» فقلت له: «اسمح لي عمي، أريد أن أساعد نفسي. دعني أتعلّم دروس الحياة». وبعد ذلك احترمني جداً. ولكن يبقى فضله كبيراً جداً علي. فهو كان المفتاح. عندما تسافرين وتمرين بتجربة العيش في بلاد الغربة وحدك تتضجين خلال فترة قصيرة جداً، إذ ليس من السهل أن يبني الإنسان مستقبله بيديه وحده. فما يستغرقه مثلاً في بلدك الأم ثلاث سنوات لكي تتضجي فكراً يستغرقك الأمر أربعة أسابيع في بلاد الغربة.

**❏ كيف تصفين الصدمة الثقافية بين لبنان وأميركا؟**

في الحقيقة كانت الصدمة باتجاه معاكس، فيلاتسيبورغ التي عشت ودرست فيها كانت أقرب إلى قرية مقارنة ببيروت عاصمة لبنان التي كانت تشهد في ذلك الوقت ذروة الحياة الثقافية والعصرية، فهي مدينة

كوزموبوليتانية كان يقصدها الناس من كل أنحاء العالم، بينما بيلاتسيبورغ مدينة صغيرة جداً أقرب إلى قرية. إنما الأهم من كل ذلك أنني شعرت بأنني بين «أنتم وهم» لم أكن أشعر بأنني أنتمي المئة في المئة إلى المجتمع الذي جئت منه ولا أنتمي إلى المجتمع الذي أتيت إليه. شعرت بأنني أكبر وأنضج بين العالمين. كتبت في إحدى المرات بين «هوتي أنتم وهم، أنا» لأنني كنت أكوّن نفسي. ولكن اختلف الأمر عندما ذهبت إلى بوسطن ثم إلى نيويورك.

**❏ من الملاحظ طلاقك باللغة العربية رغم أنك تركت لبنان في سن صغيرة ودرست وعشت فترة طويلة في أميركا. إلى أي حد أنت متعصب ومتشبثة بلغتك العربية؟**

أولاً تدريبي على اللغة العربية قوي جداً. تتلمذت على أيدي أستاذين نعيماً في حب اللغة العربية وهما كميل سعادة والياس المر. في البداية عندما سافرت إلى أميركا وبدأت العمل الصحافي ترددت في العودة إلى الكتابة باللغة العربية، خصوصاً بعدما ذهبت إلى نيويورك وراسلت جرائد عربية كانت تصدر بالإنكليزية، إلى أن اتصلت بصديقتي ناديا التويني رحمها الله ونزولاً عند رغبتها وتشجيعها لي على الكتابة بالعربية وإصرارها علي إيماناً منها بقدرتي عدت للكتابة بالعربية، لأنها لغة تسكن في لاوعيي. فكان قراراً له علاقة بالانتماء، فأنا لم أغير اسمي عندما حصلت على الجنسية الأميركية، ويمكن القول إن اللغة كانت نقطة التواصل مع البلد وتثبيت الشعور بالانتماء إليه وإلى لغتي وإلى تاريخي.

**❏ بعد تخرجك في الجامعة قدمت برنامجاً ناطقاً باللغتين العربية والإنكليزية في بوسطن، وكان اسمه «حنين». ماذا تقولين عن هذه التجربة؟**

بعدما تخرجت في الجامعة تركت بيلاتسيبورغ وذهبت إلى بوسطن، وقدمت طلب انتساب إلى جامعة بوسطن وجامعة كولومبيا في نيويورك في الوقت نفسه للحصول على الماجستير. رُفض طلبي في جامعة كولومبيا، والمضحك أنه عندما طلبوا مني بعد ذلك إلقاء خطاب في حفلة تخرج طلاب معهد الإعلام في هذه الجامعة قلت: «يا لها من لحظة رائعة! أذكر عندما تقدمت لأسجل الماجستير رفض طلبي وها أنا اليوم أخطب بطلابكم».اليوم ابنتي تدرس هناك وهي «تنتقم» لي. قُبلت جامعة بوسطن طلبي، وأذكر أن أستاذاً لم أعد أذكر اسمه أثناء المقابلة كان يجلس باسترخاء وسألني بنبرة قاسية «ماذا تريدين؟» مرات عدة إلى أن أجبته «أريد أن أكون صحافية»، فقال: «أذهبي واعلمي صحافية لأنه لم يعد لدي ما أعلمك إياه. لديك التجربة من لبنان إلى أيام الجامعة». وهو أفادني في أن أذهب وأبدأ بالعمل خارج النطاق الأكاديمي. أما برنامج «حنين» فجاءت فكرته حين كنت أعمل في مطعم يوناني أخدم على الطاولة، وكان أحد الزبائن يعمل في

## ❏ رفضتني جاوهة كولومبيا ثم طلبت مني إلقاء كلمة في الطلاب المنتخبين

مجال العلاقات العامة في إحدى سلاسل المطاعم العالمية لاحظ أنني نشيطة، سألتني ماذا أفعل وعندما أخبرته أنني خريجة إعلام ، اقترح علي إنتاج برنامج إذاعي من خلال شراء وقت هواء من محطة WUNR المتخصصة بالغايات وقال لي: «أذهبي إلى الجاليات اللبنانية أصحاب المؤسسات واحصلي على إعلانات لتتجي برنامجاً من عائدات الإعلانات»، وهكذا كان. في البداية خفت واركتبت خطأ في الحلقة الأولى من البرنامج. وأذكر أنني ذهبت إلى الكاهن الذي كان يهتم بشؤون الجالية اللبنانية في بوسطن. وطلبت منه أن يقلني إلى المكان الذي يذاع منه البرنامج وكان الطقس ماطرًا. وقتها كان في الإمكان تصحيح الخطأ لأنه كان تسجيلًا. وأذكر أننا وصلنا إلى كوخ وفتح لي الباب رجل ضخّم يأكل سندويتش، يشبه الشخصيات الكوميديّة في الأفلام الأميركية، وطلبت تصحيح الخطأ، إذ كان يكفي أن نقص مقطعاً من شريط التسجيل ليصح الخطأ. وهكذا انطلقت وصار الناس يعرفونني.

**❏ لماذا اخترت «حنين» اسمًا للبرنامج؟ وماذا كانت تتضمن فقراته؟**

الاسم جاء صدفة. كان يتضمن أحاديث وأخبارًا وأغنيات وبرامج وثائقية. أذيع خلال الحرب الأهلية في لبنان وكان الناس في الجالية منقسمين على بعضهم للأسف حتى في أميركا. ورغم ذلك كان لدي مستمعون كثر من كل الجاليات العربية. واستمر البرنامج سنتين وآخر حلقة كانت مباشرة على الهواء، ولم يكن مسموحاً بذلك، فأنا لم أكن أعرف هذا الأمر. وأذكر الاتصالات التي تلقيتها تطلب مني عدم إنهاء البرنامج.

**❏ ألا تشعرين بالحنين إلى تلك الأيام؟**

أحب أن أتذكرها، فالجالية اللبنانية في بوسطن كانت متعاضدة ولولاهم لما تعلمت ما تعلمت.

**❏ هل كنت تتصورين أنك ستعملين في التحليل السياسي في الصحافة، خصوصاً أنك بدأت بالشعر والقصة والنثر؟**

لم يكن لدي وعي سياسي في البداية، ومع برنامج «حنين» الإذاعي بدأت تتفتح براعم وعيي السياسي رغم الأخطاء التي ارتكبتها لأنني لم أكن أعرف في السياسة. ونضجت مع بدء عملي في الأمم المتحدة. كنت ضعيفة سياسياً ولم تكن لدي معرفة كافية في الشؤون السياسية، فأنا لم أدرس العلوم السياسية بل الإعلام، وكنت أكتب الشعر. لذا عملت بجهد واجتهاد كي أعرف ما يجري في أروقة العالم السياسي، فقرأت الكثير وأجريت الكثير من التحقيقات وخضت في أدق التفاصيل حتى أصير متمكّنة، فضلاً عن أن الناس الذين كانوا يعملون في الأمم المتحدة في ذلك الوقت كانوا من المفكرين المهمين جداً. فأن تكون سفيراً في الأمم المتحدة يعني أنك شخص مميز جداً. وعندما لاحظوا جديتي أخذوني على محمل الجد مما كان دافعاً لي لأبرهن ذاتي وجديتي في العمل. فضلاً عن أن هناك ثلاثة سفراء كانوا عازمين على مساعدتي لأنهم وجدوا فيّ الإصرار. وأذكر أن السفير ناجي أبو عاصي قال لي في إحدى المرات هل يعقل أنك تعرفين كل شاردة وواردة تجري في أروقة الأمم المتحدة؟

**❏ متى أصبحت مراسلة لصحف عربية؟**

عندما شعرت بأن الوقت حان لأن أترك بوسطن، وتركت على أساس أنني سأعمل في إذاعة الأمم المتحدة وأتني سأتسلم الوظيفة فور وصولي، وفي تلك الفترة كان هناك شخصان أحدهما وافق على عملي، أما الآخر فأراد أن يختبرني، والمضحك أنه قرر أنني لا أصلح للعمل الإذاعي ولم يسمح بتوظيفي، فوجدت نفسي عاطلة عن العمل في مدينة قاسية تلتفظ من لا يستطيع إثبات نفسه فيها. تخيلي الواقع الذي واجهته بلا وظيفة ولا نقود. حينها أدركت أن عليّ بناء نفسي مجدداً. اتصلت بحافظ خير الله الموجود في لندن كرئيس تحرير مجلة Events وكنت مترددة بالتعريف عن نفسي. وبالصدفة رد على الهاتف وعندما ذكرت له اسمي قال لي أين أنت؟ تذكرني من عملي. انتشلتني هذه العبارة من الخوف وهو ساعدني. الدنيا فيها ناس مفاتيح ومعلمون مخلصون يمنون موهبتك وينقلون خبرتهم إليك. وهكذا بدأت العمل في مجلة Events«الحوادث» الإنكليزية. وفي نيويورك ساعدني أيضاً صديق جزائري كان اسمه بو بكر عجالي وكان موسوعة متنقلة، كان يعمل على إنتاج عمل وثائقي Voice over. ثم عملت مع «الأبناء» الكويتية.

**❏ كيف كانت بداية عملك في الأمم المتحدة؟**

عملي لم أكن أجرؤ على التكلّم في

المؤتمرات الصحافية، كنت في الثالثة والعشرين وبقيت مدة شهرين أراقب وأتعلّم أنتشرب المعلومات. كنت ألتهم المعرفة، فالصحافي يجب أن يتوافر فيه حس الفضول والمعرفة. وحين أصبحت لدي الثقة بنفسني بدأت أطرح الأسئلة في المؤتمرات الصحافية والكل بدأ يلتفت إلي ويسأل من هذه الفتاة؟ عندما تكونين أنثى تكثر الأقاويل، خصوصاً أنك تعملين في وكر العالم. أذكر أن هناك شخصاً مصرياً ساعدني في قسم الملفات وعلمني كيف أقرأها. ساعدتني الظروف رغم أنها عاكستني في أحيان كثيرة.

**❏ هل يعامل الإنسان غير الأميركي بدونية؟**

تجربتي كانت في الأمم المتحدة صعبة وسهلة في الوقت نفسه. صعبة لأن الملفات صعبة وأسهل لأن الناس فيها يعرفون بعضهم. إذا أثبت نفسك الناس يقدرّون عمك، وفي النهاية المصداقية والجدية هما اللتان تجعلانك تواجهين كل الصعاب وتتخطينها.

أميركيّاً أصعب، أنا وجيلي حوربنا كثيراً حتى قبلوا بنا إذ ليس من السهل أن تكوني عربية خصوصاً أن صورة المرأة العربية في ذلك الوقت كانت سيئة جداً. عندما ظهرت للمرة الأولى على التلفزيون الأميركي كمحللة سياسية عام ١٩٧٩ وخلال الثورة الإيرانية كنت في السادسة والعشرين، و كان صعباً في ذلك الوقت على صحافي عربي الظهور على شاشة أهم برنامج أميركي يتكلم في السياسة الدولية. أحياناً أنظر إلى أشرطة التسجيل وأستغرب جرأتي في



## ❏ قهوة سعادتي أن أرى ابنتي ثاليا ناجحة وعادلة

تلك السن.

**■ أنت تستغربين جراتك؟**

نعم أستغرب كيف كانت لدي القدرة على التكلم بهذه الطلاقة والحرفية، وعندما أعود إلى ما كتبته وقلته أعجب بنفسي.

**■ عملك محللة سياسية أوصلك إلى مكان أصبحت تعتبرين فيه مرجحا ومصدرا موثوقا في يتعلق بالمعلومات والتحليلات السياسية. إلى أي مدى أثار هذا الأمر غيرة المحلل السياسي الرجل؟**

المنافسة المهنية وغيره تحصلان في كل المواقع فهذه طبيعة البشر. ولكن محاربة المرأة في مجالات السياسة الدولية لها ميزة، لأن الرجل يفترض أن هذا عمله وحكر عليه. عندما ظهرت للمرة الأولى على الشاشة في أميركا قالت لي إحدى صديقاتي: «كم تكثر الأقاويل حول قدراتك في التحليل السياسي وأن هناك من يملي عليك كتابتك، وعندما ظهرت على التلفزيون قلت لهم حسناً من يملي عليها الآن؟». عملت أيام الحرب الباردة وأجريت تحقيقات مهمة جداً حول هذا الموضوع في مجلة «الحوادث». وأشكر الله أن الناس يعتبرونني مرجحا مهماً، فأنا اختبرت وأثبتت نفسي، أعطيت معلومة ورائاً وأشرح وأحلل. ولا أنكر أن التحديات أمام المرأة كبيرة ويعتقدون أنه لا يمكنها أن تفكر بهذه الطريقة أو

## ■ أخاف مرض الشيوخة وعوزها

## ■ والدي قارئ الذي يشجعني على جرأتي

تلك. صحيح أنه توجد بعض الصحافيات اللواتي تُملى عليهن الأسئلة وما عليهن سوى طرحها وكتابة الأجوبة، فهن لا يحضرن بمعنى أنهن لا يعملن المطلوب في أصول الصحافة، بل يقبلن بأن يكن أداة، وفي المقابل هناك الكثيرات من الصحافيات الجميلات أيضاً ولكن جمالهن لا يقتصر على الشكل بل لديهن ثقافة وقدرة هائلة على الحوار ومقارعة السياسة في عمر دارها.

**■ لو لم تتح لك الفرصة في السفر وبقيت في لبنان هل كان في الإمكان أن تصلي إلى ما أنت عليه؟ ألم تجعلك الغربية أكثر إصرارا وثباتا في طموحك؟**

تجربة الهجرة بعد ذاتها تضاعف قدراتك وتجعلك أكثر وعياً. ولكن لا أعرف ماذا كان يمكن أن يحدث لو بقيت في لبنان، فالدنيا نصيب. ربما كنت بقيت معروفة على المستوى المحلي، لا أدري. وكتر خيره الذي رفض أن يوظفني في الخدمة المدنية في الأمم المتحدة لأنني وصلت إلى ما هو أفضل، كوئت نفسي وحرابت من أجل الوصول إلى ما أنا عليه اليوم.

**■ من أين لك كل هذه الجرأة؟**

ذكرتني بحدائة طريفة. فبعدما ترك الرئيس بيل كلينتون البيت الأبيض طلبني لأتحدث في ندوة. حضرت مداخلتى وقلت ما قلته في الموضوع الإسرائيلي وأدهشت السامعين بتعمقي في الموضوع وما قلته ضد إسرائيل، وعندما انتهيت اقترب مني شاب وسألني سيدة درغام من أين تأتين بكل هذه الجرأة. أجبته إنه حس العدالة، فحس العدالة لدي قوي و أكره الظلم. هناك الكثير ممن يعتبرني غير قابلة للترويض وهذا يخيف الكثير حتى من يحييني.

**■ إلى أي مدى راغدة درغام فخورة بنفسها؟**

كثيرا. أكثر ما أسعد به هو عندما آتي إلى لبنان وأرى كم يحبني الناس ومنهم من يقول لي «نحبك، ننتظرك نحترم جراتك»، وآخر «لا أفوت لحظة من لحظات ظهورك على الشاشة». هذه العبارات وغيرها تشكل بالنسبة إلي قمة السعادة وأفتخر باحترام المشاهد العادي لي ، فهذه جائزتي الكبرى.

**■ كيف تنظرين إلى واقع المرأة العربية اليوم؟**

قطعت أشواطاً كبيرة، ولكن تصوّري أننا لا نزال في بلد مثل لبنان، بلد الحرية، نطالب بكرسي نيابي أو وزاري للمرأة في الوقت الذي اقتحمت فيه المرأة كل ميادين الحياة العامة ومن حقها أن تتولى مناصب سياسية وديبلوماسية وزراية عدة وليس منصباً واحداً، وكان الأمر ترضية. لدينا كفاءات نسائية يفتخر بها وأرى أن المطالبة بكونا نسائية أمر صحيح ومعق، لم لا؟ السياسة ليست حكراً على الرجال!

**■ هل تعتقدين أن المرأة وصلت إلى حقوقها المدنية في العالم العربي؟**

للأسف لا، رغم كل التقدم العلمي الذي وصلت إليه المرأة لا تزال حقوقها المدنية مسلوبة. تخيلي أن المرأة لا تكون جميلة ومتقفة وقارح الرجال في الحياة السياسية، فأنا أفتخر بأن أظهر أنيقة سواء عندما أظهر على شاشة التلفزيون أو عندما أذهب إلى عملي في المكتب. فالعمل في الأمم المتحدة يتطلب من المرأة والرجل أن يكونا أنيقين، لأنه موقع دبلوماسي دولي، فهل يعقل أن ارتدي الجينز مثلاً! والبيئة التي أعمل فيها ليست مقتصرة على وظيفة مكتب، فكل يوم

تذهيبن إلى صالون سياسي ويجب احترام من تلتقيهنم، فكلمنا كنت محافظة على مظهرك ولديك حضور أنيق فنر الناس هذا الأمر. لكل مقام مقال.

**■ لو كنت تعيشين في لبنان، هل كان في الإمكان أن تكون لديك هذه الحرية في التعبير عن رأيك كما الآن وأنت تعيشين في نيويورك؟**
أنا أكتب من نيويورك بحرية تامة وتشر مقالاتي كما هي. صحيح أنني لو كنت أسكن في بيروت لكانت تتقلاتي صعبة وربما كنت قد أستهدفت كما يجري من الصحافيين. لذا لم آت إلى لبنان منذ ست سنوات بسبب الظروف الأمنية.

**■ ما هو أطرف لقاء أجريته؟**

اللقاء مع الرئيس حسني مبارك. فعندما كان ينزل السلام وكان حوله أشخاص كثر حاولت الاقتراب منه تعرف إلى وجهي ولكنه لم يذكر أين التقائي. سلم علي واقتربت منه وقلت له راغدة درغام من «الحوادث» فقال:« لا، لا أعود بالله». ضحكت، بينما هو شعر بالأسف بعد ذلك لرد فعله فجدد لي موعداً لإجراء حديث وكان يردد خلاله الرأي العام الأميركي الرأي العام الفرنسي، وأنا بطبيعتي عنيفة في الأسئلة فسألته عن الرأي العام العربي فرد علي «رأي عام إيه!» وصار يضحك.

**■ أجريت حديثا مع رمزي يوسف الذي يقال إنه العقل المدير لتدمير مركز التجارة العالمي الأول، كيف تصفين هذا اللقاء؟**

اذكر أنني جلست معه في السجن وجهاً لوجه. كانت لديه رسالة يريد إيصالها من خلال الإعلام، وكان معه كراس أصفر وكلما كنت أسأله يجيبني بمحاضرة، وكان التسجيل ممنوعاً فكنت أدون كل ما يقوله، وكان علي في الوقت نفسه استعمال قواي السيكولوجية. حاولت أن أجد الطريقة التي تجعله يثق بي وكانت بسيطة وعفوية

جداً إذ لم يخطر في بالي أنني بمجرد أن ابتمت له، كما نبشتم عادة أثناء تحدثنا مع الآخرين، شعر بالخجل وأصبح يعطيني معلومات. فهو باكستاني يعيش في الكويت وحديثي عن علاقته بجذته الفلسطينية ، وكيف أنجب طفلين وهو ملاحق من العدالة. أعطاني كل هذه المعلومات في الوقت الذي لم تكن نعرف عنه شيئاً، لأنني عرفت كيف أوظف قدرتي السيكولوجية. تصوّري هذا الشخص الذي دين بأنه العقل المدبّر لهذه العمليات الإرهابية الكبرى خجل من ابتماسة. كنت أفكر في تأليف كتاب عن هؤلاء الأشخاص وكيف يفكرون، ولكن العمل الصحافي أخذني وشغلني عن تحقيق هذا الأمر.

**■ المرأة التي تعمل في السياسة تعطي الانطباع الدائم عنها أنها المرأة القاسية التي لا تهتم بأنافتها، كيف استعطت أن تغيري هذه المعادلة؟**

فعلاً كان هذا الانطباع موجوداً عند الناس، إذا كنت امرأة تفهمين في السياسة يجب أن تكوني عجوزاً شمطاء. فكان لايد من كسر هذه الصورة النمطية ونغير هذا الانطباع أنا وغيري من الإعلاميات، من جبلي أذكر هدى الحسيني وغيرها الكثيرات. يمكن المرأة أن تكون جميلة ومتقفة وقارح الرجال في الحياة السياسية، فأنا أفتخر بأن أظهر أنيقة سواء عندما أظهر على شاشة التلفزيون أو عندما أذهب إلى عملي في المكتب. فالعمل في الأمم المتحدة يتطلب من المرأة والرجل أن يكونا أنيقين، لأنه موقع دبلوماسي دولي، فهل يعقل أن ارتدي الجينز مثلاً! والبيئة التي أعمل فيها ليست مقتصرة على وظيفة مكتب، فكل يوم

تذهيبن إلى صالون سياسي ويجب احترام من تلتقيهنم، فكلمنا كنت محافظة على مظهرك ولديك حضور أنيق فنر الناس هذا الأمر. لكل مقام مقال.

**■ لو كنت تعيشين في لبنان، هل كان في الإمكان أن تكون لديك هذه الحرية في التعبير عن رأيك كما الآن وأنت تعيشين في نيويورك؟**

أنا أكتب من نيويورك بحرية تامة وتشر مقالاتي كما هي. صحيح أنني لو كنت أسكن في بيروت لكانت تتقلاتي صعبة وربما كنت قد أستهدفت كما يجري من الصحافيين. لذا لم آت إلى لبنان منذ ست سنوات بسبب الظروف الأمنية.

**■ ما مدى تأثرك بحوادث الاغتيالات التي طالت الصحافيين؟**

لقد أثر في كثيرًا( تدمع عينها) اغتيال الزميلين سمير قصير وجبران التويني ومحاولة اغتيال زميلتنا مي شدياق التي دفعت ثمنًا كبيرًا، فهل يعقل أن تجارب بعد ذلك !هذا ظلم كبير. صحيح أن المحكمة أُنشئت من أجل معرفة من اغتال الرئيس رفيق الحريري ولكن في الوقت نفسه سوف تكشف عن ارتباط هذه الاغتيالات باغتيال الحريري. مهما كانت مواقف الإنسان السياسية ليس هناك مبرر لإسكات صوته بالقتل.

**■ تهاجمك بعض الأقلام بأنك تعطين معلومات مغلوطة خصوصاً في ما يتعلق بالمحكمة الدولية الخاصة باغتيال رفيق الحريري، كيف تردين؟**

أتحدى أي صاحب مقال إثبات عكس ما أنشره من معلومات فليست مهمتي إدانة أحد. وعلاقتي بالمحكمة تعود إلى موقعي في الأمم المتحدة، وأهميتها أنها أوقفت جرائم كانت تمر بلا محاسبة. على الأقل اليوم

أصبح هناك رادع لمن تسول له نفسه قتل من يختلف معه. أنا أوّمن بأن العدالة أمر مهم بل أساسي للإصلاح في العالم العربي. أنا في عقر الدار الأميركي أطالب بالعدالة من أجل فلسطين ، فلم لا أطلب بها من أجل الحقيقة والإصلاح أيضاً في عقر الدار العربية؟

**■ رغم هجوم بعض الأقلام يعتبر أكثر أنك مصدر موثوق ومرجع يستندون إليه في التحليلات السياسية. إلى أي مدى تشعرين بالفخر بأنك استعطت إنجاز هذا الأمر؟**

لدي مسؤولية تجاه القارئ ولا أحب الدخول في جدال ومهاترة مع الأقلام التي تهاجمني لتصحيح الأخطاء، فهذا لا يفيدني. فأنا أعمل بحسب أصول مهنتي أي الصدق في نقل المعلومات، وما يهمني أن القارئ أو المشاهد إذا سمعني يفكر في ما قلته أو كتبته. أنا لا أريد أن يصفق الناس لأنني أساير في آرائي وإلا لما كان عندي أعداء. والأقلام التي تتاولني في المدونات ليست جريئة بل جبانة، وهذا نوع من الإرهاب الفكري. لأنه لو كانت لديها الجرأة لكانت أعلنت اسماءها. على الأقل نحن نكتب أسماءنا ولدينا عنوان. والحمد لله هناك مؤسسات دولية للدفاع عن حقوق الصحافي...يا ليت النقابات في العالم العربي خصوصاً في لبنان تقوم بدورها الحقيقي في حماية الصحافيين. حان الوقت لأن تكون في العالم العربي نقابات فاعلة وذات معنى وليست للمناسبات والاحتفالات. الإعلام مسؤولية تجاه الله وتجاه القارئ.

**■ بعيداً عن السياسة هل تهتم راغدة بالفن؟**

طبعاً. أراقب وأشاهد كل ما يحدث في عالم الفن. أشاهد المسرح وأستمع إلى موسيقى الشباب لا سيّما الجيل الجديد. أحب الأغاني التي يقدمونها ولكن للأسف لا أحفظ الأسماء. صحيح أنني أعيش في نيويورك ولكن اللحن العربي اخترق اللحن الغربي وهذا جميل جداً ونفتخر به. من الجميل أن تذهبي إلى أحد مطاعم نيويورك وتسمعي موسيقى عربية.

**■ كيف تمضي راغدة إجازتها؟**

أسافر كثيراً بحكم عملي ولكن أحصل على إجازة شهر أمضيها مع ابنتي الوحيدة ثاليا، وأبتعد قدر المستطاع عن الأخبار السياسية رغم صعوبة الأمر. أحب أن أستلقي على الشاطئ وألتقي الناس وأحب « اللقمة الطيبة». أحب المسارح والرقص المعاصر والأوبرا لا سيما الإيطالية. كما أحب الموسيقى التي تؤلفها ابنتي، فهي عازفة بيانو.

**■ ما الذي تفتقدينه اليوم؟**

أفتقد صوت ابنتي ثاليا الصباحي الذي اعتبره المنبّه الذي يوقظني وهي تقول لي «أحبك ماما» قبل ذهابها إلى المدرسة. فمئذ أن دخلت ثاليا الجامعة وسكنت في مهجع الطالبات لم يعد صوت الموسيقى يصدح في المنزل.

**■ هل علمت ابنتك اللغة العربية؟**

لا للأسف رغم محاولاتي الدؤوبة، فالبيئة صعبة وأصدقائها جميعهم أمريكيون.

**■ إلى أي مدى تحنين إلى العلاقة الحميمة الموجودة في لبنان؟**

أهلي يعيشون في نيويورك، فالحمد لله الحياة الأسرية مؤمنة لي. ولكن اليوم أشتاق جداً إلى والدتي رحمها الله( تدمع عينها للمرة الثانية). توفيت في تشرين

## راغدة درغام



الملكة الاردنية رانيا العبد الله خلال مؤتمر " اطلاق الابداع العربي " الذي عقد في منطقة البحر الميت في الاردن وبدت (الى اليسار) الاعلامية اللبنانية راغدة درغام

بكل أشعاري وكتابتي اختفت. فعندما رجعت إلى المنزل سألت عن هذه الخزانة فقالوا لي اهترأت ورميت. شعرت بالأسى لأن فيها كل ذكرياتي مخطوطة على الورق.

**■ من من الأدباء كان له أثر فيك؟**

كل من كان في ذلك الزمن كانوا من العظماء. ففترة أواخر الستينات وأوائل السبعينات كانت العصر الذهبي للحياة الأدبية في بيروت، وقد تأثرت بكل رواد تلك الفترة ومن بينهم أنسي الحاج وأودنيس.

**■ كيف ترين جيل الصحافيين من الشباب؟**

أجد بعضهم كسولاً ويكتفي بأخذ معلوماته من الإنترنت دون الرجوع إلى المصدر الحقيقي، بل يسلك أسهل الطرق أي القص واللصق، وهذا ليس عمل الصحفي. وفي المقابل، هناك صحافيون جدد سباقون وأنا أحترمهم. وأجد من الضروري العودة إلى القاعدة الأولى أي إلى ألباء الإعلام للتدقيق والتمعن بمسؤولية بدلا من إعطاء الأولوية للسرعة الفائقة واللجوء أحياناً إلى

نسخ الأقاويل والافتراءات.فأنا عندما أكتب مقالا أعاني كثيراً، لأنني أفكر في شيء جديد وأكتب بمسؤولية. أفكر في عمق وأجلس خمس ساعات وأنا أكتب رغم أنني أكون قد فكرت في مضمون المقال مدة أسبوع، فأنا لدي مسؤولية تجاه القراء. لذا عندما أستضاف على التلفزيون أفكر بسرعة لأن لدي الخلفية. المهم أن تقول شيئاً جديداً، فالناس ملؤا المعلومات المكررة.

**■ هل ترين أن الصحافة الإلكترونية ستلغي الصحافة الورقية؟**
علينا التأقلم مع العصر الجديد للإعلام ولكن المقال له أهمية كبرى، فالأخبار تنتقل بسرعة ولكن المقال ينتظره الناس كي يقرأوا التحليل السياسي، وما هو الجديد. صحيح أن الصحافة الإلكترونية مهمة جداً، ولكن رغم تراجع استعمال الجريدة الورقية فأنا أحبها وأشتاق إليها. **■**

## ■ النجاح في الإعلام يتطلب

## الإصرار والثبات

## و التقيد بأصول المهنة